الأسُسُ النَّظريَّة للتَّعريفات القامُوسِيَّة

(دراسة تطبيقية في القواميس العربية)

الدكتور عبد الرحمن ولد أخيارهم
جامعة العلوم الإسلامية بالعيون
موريتانيا

المقدمة:

تَنقسم علوم اللسانيات في مباحثها إلى قسمين: قسمٌ نظري، وقسمٌ تطبيقي، وتنتمي الصِّناعة القاموسيَّة إلى هذا الأخير، لكنها تستفيد من جميع الأطروحات والافتراضات والحلول التي تقدمها مباحث اللسانيات النَّظرية، سواء كان ذلك في مجال التركيب أو الصواتة أو الدلالة، إلخ.

ولكن مع ذلك يبقى مجال الدّلالة (Semantics/ Sémantique) هو الأقرب دون منازع إلى الصناعة القاموسية عامةً، وفي الشق المتعلق بالتعريف خاصةً، الذي يُمثِّل الركن الثالث والأخير من أركان القاموس (1. المدونة 2. الترتيب 3. التعريف) إذْ يُحاول القاموسيُّ في ركن التعريف إبراز دلالات الكلمات، وما تُحيل إليه معانيها في الاسْتخْدام التواصلي، من خلال إعطاء معادلات لغوية لها، سواء أكان ذلك بتعريف كلمة بكلمة واحدة أم بمجموعة من الكلمات تحدِّدُ مميِّزاتها وخصائصها بما يجعلها واضحةً وجليَّةً لمستخدم القاموس.

ويتمثَّل تعريف الكلمة المدخل في تحديد مكوّناتها الأصليَّة وضبط مميِّزاتها التي تَختلف بها عن غيرها من الكلمات الأخرى؛ لأنَّ هدف القَامُوسيّ، هو التوصُّل إلى مقابلٍ للوحدة المعجمية المُعرَّفة في السياقات المختلفة التي ترد فيها أساسًا، ويُفْترضُ أن يكون هذا المُقابل قادرًا على الإحالةِ إلى جوهر مَعْنى اللّفظ

المُعرَّف، وبالتالي يَطْرَح إيجاد المُقابل إشْكالاتٍ عِدَّةٍ، مَنهجيَّة ونَظريَّة تَفْرزُهَا تَعقيدات تَحْديد المَعْنى الذي قد يكون في بعض الأحيان غامضًا، نظرًا لاعْتبارات لُغويَّة وأخرى غير لغويَّة؛ وذلك لأنَّ الدَّلاليين اخْتلفوا على نطاقٍ واسعٍ في تَحديد طبيعة معاني بعض المفرداتِ.

ولَعلَّ أبرز ثغرة تُؤخذُ على حقل علم الدِّلالة بشكل عام، هو اختلاف المنشغلين فيه وكثرة جدلهم في تحديد مفهوم "المعنى" الذي هو مدار هذا العلم كلِّه، منذ أرسطو إلى الآن، وازْداد الاختلاف حدَّةً بظهور نظريات دلالية حديثة في إطار اللسانيات البُنيويّة، واللسانيات التوْليدية، واللسانيات الوظيفية.

وإذا كانت النَّظرية هي مجموع الأفْكار والآراء والقوانين الخاصة بمجال معيّن، فإنَّ المنهج، هو انتقال تلك الأفكار والقوانين من مجالها النّظري المجرّد إلى التَّطبيق والاختبار والإجراء، فالقاموسيّ إذن في عملية تعريفه للوحدات المعجمية في القاموس، يُمنهجُ مجموعة من النظريات الدلاليَّة، أهمّها:

1. نظرية الاحتواء:

تُعَدُّ نظرية الاحتواء من أقدم النَّظريات الدلالية التي اهتمت بالتَّعريف، فهيَ تَعودُ إلى تَصنيف أرسطو للعالم الخارجي إلى مقولات مَنطقيَّة (الجنس/ النَّوع) كما تُعَدُّ أقرب النَّظريات إلى المعالجة القاموسيَّة؛ وذلك لكَونهَا تَعْتمِدُ على ما للّغةِ من قيمة تداولية عامة (générique) فتعمل من خلال مفهوم الاحتواء على تعريف الشيْء وفق تصنيفٍ هَرمِي متدرِّجٍ لتصل بذلك إلى ماهيَّة الشيء المعرَّف من خلال تعيين جنسه القريب ثم تخصيص الاختلافات التي تَفصله عن بقيَّة الأَشْياء المنتمية إلى ذلك الجنس[1].

فعلى سبيل المثال يعرِّف "المعجم الوسيط" **الْكُساح** بأنَّه "داءٌ للإبل تعرج منه"[2]، ونجد أن هذا التعريف يتكون من قسمين:

(1) الحبيب النَّصراوي، التعريف القاموسيّ، بنيته الشكلية وعلاقته الدَّلالية، ص 41.

(2) المعجم الوسيط، مادة (كسح) ص 786.

– محتوى (داء) الذي يعيِّن المقولة العامة التي يَنتمِي إليها المرْجع؛

– خصائص تمييزيَّة (لإبل تعرج منه) تميزه عن أنواع من الأمراض الأخرى، ك (الْكُزَّاز) الذي يعرِّفه بأنَّه: "مرض قاتل يصيب المجروح إذا تلوَّثَتْ جراحه بتراب الأرض المحتوي على باسيل التِّيتانوس (مج)"[3]

وقد اكتشفنا من خلال استقرائنا للتعريفات المنطقية التي وردت في في القواميس العربية، أنَّها تتفاوت من ناحية شُمولية الخصائص المكونة لجوهر الشيء المُعرَّف (المدخل) ويمكن أن نقسِّمها إلى قسمين:

أولا: تعريفات منطقية اشْتملت على الجنس القريب والفصل النوعي وبعض الخصائص الإضافية، فهي تتماشى مع مُتطلبات أو خصائص "التعريف بالحد الذي عرَّفه ابن سينا بأنَّه "القول الدَّال على ماهية الشيء، وما يتحصل له من جنسه وفصله"[4]، وبعبارة أخرى، هو تعريف الشيء بأجزائه أو لوازمه أو بما يركب منه تعريفا جامعا مانعا، ومن أمثلته ما ورد في "معجم اللغة العربية المعاصرة" للمدخل (آبَنوسٌ) بأنَّه "شجرٌ مثمرٌ من الفصيلة الآبنوسية، أوراقه كأوراق الصَّنوبر، وثمره كالعنب وخشبه أسود، صلب ينبت في البلدان الحارَّة، كالخشبة الهندية ويصنع منه بعض الأدوات والأثاث"[5]، ونلاحظ أنَّ التعريف اشتمل على ثلاثة مكونات للوصول إلى ماهيَّة الشيء المُعرَّف (الآبنوس) وذلك على النحو الآتي:

– المكون الأول الجنس القريب (الجنس شجر).

– المكون الثاني الفصيلة (الآبنوسية).

– المكون الثالث الخصائص الإضافية المميزة لآبنوس عن غيره (أوراقه كأوراق الصَّنوبر...إلخ).

---

(3) المرجع نفسه والصفحة.

(4) ابن سينا، رسالة الحدود، ضمن كتاب "الحدود في ثلاث رسائل" لعبد اللطيف محمد العبد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، ص 50.

(5) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مادة (أبس) ص 49.

ومن أمثلة التعريف بالحد كذلك تعريف مدخل "آنسُون" في معجم اللغة العربية المعاصرة، كذلك بأنَّه "نباتٌ حولي من فصلية الخيميَّات، وزهرُه صغير أبيض وثَمره حبٌّ جاف طيِّب الرائحة، يحتوي على زيت عطري طيَّار، يُستعمل في أغراض طبيَّة ويتَّخذُ منه شرابٌ ساخنٌ"[6].

تألف هذا التعريف من ثلاثة مكونات:

- المكون الأول: الجنس (نبات –شجر).
- المكون الثاني: الفصيلة (الخيْميَّات).
- المكون الثالث: الخصائص (زهره صغير أبيض...إلخ).

ثانيا: تعريفات منطقية اقتصر فيها على بعض مُقوِّمات ماهية الشَّيء المُعرَّف، كالجنس البعيد وحده أو الفصل والخاصية فقط دون ذكر الجنس، ويستجيب هذا النوع من التعريفات المنطقية لمبادئ "التعريف بالرَّسم" الذي عرَّفه ابن حزم بأنَّه: "لفظ وجيز يميز المُعرَّفَ عمَّا سواه فقط دون أن ينبئ عن طبيعته"[7]، وينقسم بدوره إلى رسم تام ورسم ناقص، يمكن أن نصوغ الفرق بين القسمين على النحو الآتي:

الرسم التام = أجزاء الماهية + خصائص (لوازم) مثل تعريف مدخل "**آذان العَنزِ**" في المعجم الوسيط بأنَّه "نبات مائي من فصيلة المزماريات..."[8].

الرسم الناقص = جنس قريب + خاصية، مثل الإنسان: حيوان ضاحك، ومن أمثلة التعريف بالرسم في القواميس العربية، تعريف مدخل "**آذانُ الْفِيلِ**" في "المعجم العربي الأساسي" بأنَّه "نبات يستعمل سوقه للأكل"[9]؛ نلاحظ في

(6) المرجع نفسه، مادة (أنس) ص 51.

(7) ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج1، ص36.

(8) المعجم الوسيط، مادة (أذن) ص 12.

(9) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، مادة (أذن) ص 80.

هذا التعريف ذكر بعض لوازم ماهية المُعرَّف دون التطرق لكل الأجزاء، حيث ذكر الجنس (نباتي) والخاصية (تستعمل سوقه للأكل).

2. نظرية الحقول الدَّلالية:

بدأت نظرية الحقول الدَّلالية بإشارات وتلميحات من اللغويين العرب منذ القرن الثالث الهجري (التَّاسع الميلادي) حيث صنَّفوا كُتب غريب القرآن والحديث النَّبوِي وكُتب الرَّسائل اللُّغويَّة تَماشيًا مع أطروحات هذه النظرية، ثم تطورت تدريجيا مع أبحاث همبولدت (Humboldt 1767) وهوْردر (Herder 1855) ومايِر (Mayer 1910) لكن ظلَّت أطروحات هؤلاء غير واضحة إلى أن جاء فرناند دي سوسير (F. de Saussure 1857-1913) فقدَّم أفكارًا واضحةً في نظرية الحقول الدَّلالية؛ ممَّا جعل جلّ الباحثين يعدّونه صاحب فكرة هذه النظرية، وإليه يرجع الفضل في جعلها لغوية واضحة، خاصة عندما بيّن في محاضراته أنَّ المفردات يمكن أن تدرج في نوعين من العلاقات؛ علاقاتٍ مَبْنِيَّةٍ على التشابه في الصور وعلاقات مبنيَّة على التَّشابه في المفهوم، أمَّا الأولى فهيَ تربط مثلًا تعلَّم بتَعليم، وأمَّا العلاقة الثانية، فهيَ تربط عدَّة مُفردات مُخْتلفةٍ تَدلُّ على مَعانٍ مُتقاربة، مثل تَعليم، تَكوين، تَربية، إلخ[10].

وقدْ ظَهرتْ فِكرةُ الْحقولِ الدَّلالية، عند دِي سُوسير فيما يُسمِّيه بـ: "الروابط التشاركيَّة" الموجودة بين الوحدات المعجمية، مثل: خشي وتوجس وخاف...إلخ، فهذه الكلمات تشترك في دلالة عامة، وهي دلالة الخوف[11].

ولكن يبقى اتْرِيرْ (Trier 1934) من النَّاحيَة التطبيقيَّة، يُمثِّل أبرز مثال لنظريَّة الحقول الدلاليَّة، من خلال مقارنته لحقل الجانب الفكري لمفردات اللغة الألمانية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي[12].

(10) باديس الهويمل، نظرية الحقول الدلالية بين التُّراث العربي والفكر اللِّساني المعاصر، ص 149.

(11) عمَّار شلواي، نظرية الحقول الدَّلالية، ص 41.

(12) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 81.

ويرى أصحاب هذه النَّظريَّة، أنَّه كي يُفهم معنى كلمة ما، لا بدَّ من فَهْم معنى مجموعة الكلمات المتَّصلة بها دَلاليّا؛ لأنَّ اللُّغة في نظرهم لا تتكوَّن من كلمات مُبعثرة لا تربطها علاقات؛ بل هي بناء لنظام منسجم ومتجانس توجد فيه الكلمات على شكل مجموعات، تقوم كل مجموعة بتغطية مجال مفهومي محدَّد، يُسمَّى الْحَقل الدَّلالي (Semantic field) أو الحقل المعجمي (Lexical field) الذي هو مجموعةٌ من الكلمات تَرْتبط دلالتها تَحت لفظ عامٍ يَجمعها، مثال كلمة الألوان في اللغة الْعربيَّة، فهي تقع تحت الحقل الدلاليِّ العام "لون" وتضم ألفاظًا، مثل أحمر وأبيض وأصفر وأسود وأزرق، إلخ. ومثاله حقل القرابة الذي يندرج تحته: الأب والابن والعم والأخ والخال والجد...إلخ، وقد أورد أَحْمد مُختار عُمر تعريف ألمان (Ullmann 1962) للحقل الدلالي في قوله: "هو قطاع متكامل من المادة اللغوية عن مجال معيَّن من الْخِبرة"[13].

وبالرَّغم من وجود اتجاهات عدَّةٍ في طريقة تَصْنيف الْكَلمات داخل الْحُقول الدَّلاليَّة، فإنَّهم يَتَّفقون على أربعة مبادئ أساسيَّة، وهي:

- انتماء كلّ وحْدةٍ مُعجمِيَّة إلى حَقْلٍ دلاليٍّ مُعيَّن؛
- لا يَصح انْتِماء وحدة معجمية واحدة إلى أكْثرَ من حقلٍ دلاليٍّ واحد؛
- لا يُمكن إِغْفال السِّيَّاق الذي ترد فيه الكلمة؛
- لا يُمكن دراسة المفردات مستقلة عن تَركيبها النَّحويّ[14].

ويَبدو أنَّ الْمبدأَين الأخِيرَيْن (الثالث والرابع) يَتطابقان مع مَبادِئ نَظريَّة السِّياق الدَّلاليَّة، كما سنرى فيما بعْد.

ويَرَى أصحاب نظريَّة الحقول الدَّلاليَّة كذلك أنَّ الْعلاقات داخل الْحَقل الدّلاليّ، تتوزع في أربع علاقات أساسية:

(13) المرجع نفسه، ص 79.

(14) محمد أسعد محمد، في علم الدلالة، ص 47.

1. علاقة اشتمال، بحيث يكون هناك معنى عامٌّ يشمل معنى مجموعة من الكلمات تَندَرجُ تَحْته، فاللَّون مثلًا يشمل الأبيض والأسود والأحمر...إلخ، ومن ذلك تعريف "المعجم العربي الأساسيّ" مدخل (لَوْن) بأنَّه: "صفة الشيء من بياض وسواد وغيرهما "لوْنٌ أحْمَرٌ" ألوانٌ قاتِمةٌ"[15]، ونُلاحظ في هذا التعريف الاستناد الظاهر على نَظريَّة الحقول الدلاليَّة، باسْتحْضارِ بعض ما يشتمل عليه هذا الحْقل الدَّلاليّ العام؛

2. علاقة التضاد، تكون فيها الكلمة تحمل معنى مغايرًا لمعنى الكلمة الأخرى، مثل البياض والسواد؛

3. علاقة الجُزء بالكل، مثل علاقة اليد بالجسم، فاليد جزءٌ من الجسم، وليست نوعًا منه؛

4. علاقة تنافر، إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب) و(ب) لا يشتمل على (أ)، وبعبارة أخرى عدم التَّضمن من الطرفين.

ومن أبرز النَّتائِج التي حقَّقَتْها نَظريَّة الحْقول الدَّلاليـة، في مجـال الصـناعة القاموسـيَّة، هـو أنَّهـا حلَّـت مشـكلة صـعوبة التمييـز بـين المشـترك اللفظـي (polysémie) والمشترك الدَّلالي (homonymie) بوضع المشترك اللَّفظي في مداخل متعددة حسب تعدد الكلمات المتجانسة، فمثلا كلمة orange (برتقالي) توضـعُ في حقل الألـوان وكلمـة orange (برتقـال) توضـع في حقـل الفاكهـة، ويُخصـص للمشترك الدَّلالي، مدخل واحد باعتباره كلمةً واحدةً متعددة الدَّلالة[16].

3. نظريَّة السّيَاق:

يرى أصحاب نظريَّة السياق، أنَّ معاني الكلمات لا يمكن أن تنكشِف؛ إلَّا بعد وضعها في سياق معيَّن، لأنّ المُفردات لا تحمل معاني قبل ورودها في سياقات تحدِّد معانيها، فالسيَاق يعيِّن قيمة الكلمة، كما يقول فندريس (Vendryes): "إنَّ

(15) المعجم العربي الأساسي، ص 1109.

(16) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 102– 105.

الكلمة توجد في كلِّ مرة تستعمل فيها في جوٍّ يحدِّد معناها تحديدًا مؤقتًا، والسِّياق هو الذي يفرض قيمة دلاليَّة واحدة بعينها على الكلمة، على الرّغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدلَّ عليها، والسِّياق أيضًا هو الذي يخلِّص الكلمة من الدَّلالات الماضيَة التي تدعها الذّاكرة، وهو يخلق لها قيمة حضورية، فالكلمات ليست لها معان وإنما لها استعمالات"[17].

ومفاد هذا الكلام، أنَّ معنى أي كلمة، مرتبط بوضعها في سياق لُغَوي وتأخُذ مَعْناها، حسب ورودها في السيَاق، وتبقى الكلمة بدون معنى ما لم تُوضع في سياق معيَّن. فالكلمة إذن، في رأي أصحاب نظرية السياق، لا تملك دلالة لغوية أصليَّة، عكس ما رأينا عند أصحاب نظريَّة الحُقول الدَّلاليَّة الذين قسَّموا معاني في الكلمة إلى معنًى أصْليّ متجذر فيها قبل وضعها في سياق، ومعنى ثانوي يأتي من خلال الاستعمالات.

ويذهب أصحاب نظرية السِّيَاق في شرح فكرتهم إلى "أنَّ مُعظم الوحدات الدَّلالية تبقى مُجاورة وحدات أخرى. وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلَّا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"[18].

وبالتالي تتطلب دراسة الكلمات، تحليل السيَاقات والمواقف التي ترد فيها، سواء كانت تلك السياقات لغوية أو غير لغوية. وقد حصرها أَمَارْ (K. 1975 Ammar) في أربعة سياقات:

- السياق اللغوي (linguistic context)
- السياق الثقافي (cultural context)
- السياق العاطفي (emotional context)

(17) فندريس، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ص 231.

(18) Componential analysis of maiming, p 197.

- الموقف (situational context)[19].

ويَقْتصر هَمُّ القاموسي عادةً على السِّيَاقات اللغوية دون غيرها، ولنأخذ على سبيل المثالِ مدخل "تَأَثَّر" الذي يُعرِّفه "معجم اللغة العربية المعاصرة" في السياقات الآتية:

- **"تأثَّر/ تأثَّرَ بـ / تأثَّرَ لـ / تأثَّرَ** من يتأثَّر، تأثُّرًا، فهو مُتأثِّر، والمفعول مُتأثَّر (للمتعدِّي).
- **تأثَّر** الشَّيءَ: تتبّع أثره.
- **تأثَّر** الشَّاعرُ بمن سبقه: سار على نهجه أو تطبَّع به، جعل منه أثرًا فيه.
- **تأثَّر** الكاتبُ بأساليب الأدب الغربيّ: تبعها.
- **تأثَّر** بمصابنا / **تأثَّر** لمصابنا: حزن حزنًا شديدًا "ظهرت عليه علامات التأثُّر".
- **تأثَّرَ** من تحامل رئيسه عليه: غضب، انفعل معنويًّا"[20].

وعرَّف "المعجم الوسيط" المدخل نفسه في السياقات الآتية:

- **تأثَّر** الشيءُ: ظهر فيه الأَثَرُ.
- **تأثَّر** بالشيء: تطَبَّعَ به.
- **تأثَّر** الشيءَ: تتبَّع أَثَرَهُ[21].

ونُلاحظ –هنا– اعتماد "المعجم الوسيط" و"معجم اللغة العربية المعاصرة" في تعريف هذا المدخل، على نظرية السِّياق، لكن تتجلى في هذا الأخير نظرية السياق بشكل كبير، فهو لم يُقدم أيّ معنًى للمدخل خارج السيَاق،

(19) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 70.

(20) معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 60.

(21) المعجم الوسيط، ص 5.

واكتفى في بداية المدخل قبل الدخول في السيّاقات بمعلومات شكليَّة عن صورة المدخل.

4. نظريَّة السِّمات الدَّلاليَّة:

ظهرت نظرية السِّمات الدلاليَّة بعد ما ظهر عجز نَموذَج تشُومسكي (1957) الذي اقْترحَه في "البنيات التركيبية" عن تَفْسير الكثير من الإشكالات نظرًا لخلوِّه من المكون الدَّلاليّ. ومن ثمَّ اقترح كاتز وفودر (katz et fodr 1963) وكاتز وبوسطال (katz et bostal 1964) نموذجا اعتبر الدَّلالة جزءًا نسقيّا في تحليل اللغة وبالتالي يُعدُّ مكونًا خاصًا بإسنادِ المعاني إلى المتواليات اللغوية[22].

ويرى أصحاب هذه النَّظريَّة أنَّ كلّ كلمة تَحْمِل صفاتٍ تركيبيَّةً تميِّزها عن غيرها من الكلمات، وطبقا لهذا التصور فإنَّ كل كلمة تحمل سمات دلاليَّة تحدِّد المعنى الدَّقيق لكل كلمة.

وكان ما حققّه علم الأصوات، من نجاح في إقامة نظام بنيوي للمقابلات الصوتية، من خلال تحديد المكونات التشكليَّة، لكلّ معنى من المعاني ثم وضع هذه المكونات في رسم شجري أو في شكل جدول أو في شكل تقابلات ثُنائيَّة. كتحديد معنى "كرسي" مثلا بأنَّه: جامد + مصنوع من الخشب + ذو أرجل + مخصص للجلوس...إلخ. وتحديد معنى: "كبش" مثلا: حيوان + ذكر + بالغ + ويُقابِلُه (خروف) فهو: حيوان + ذكر ـــــ بالغ، فسمة (+، ـــــ بالغ) هي السمة المميِّزة بين الكبش والخروف.

ويُمكن أنْ تُساعد هذه النَّظرية، في معالجة الألفاظ التي تشترك في كثير من الخصائص، فَتُعين على كشف الفوارق الدقيقة بين هذا النوع من الكلمات، ولتأكيد ذلك يُنظَرُ الأمثلة الواردة في الجداول الثلاثة الآتية[23]:

---

(22) للتفصيل أكثر ينظر: عبد الرحمن ولد أخيارهم، إشكالا المعجم العربي المعاصر "أطروحة الدكتوراه"، ص 12.

(23) ينظر: مضمون الجداول الثلاثة في كتاب "فقه اللغة وسر العربية" للثعالبي، فصل "حسن المرأة"، ج1/ ص 90، وفصل "تفصيل الأموال" ج1/ ص 94، وفصل "في تفصيل النظر وهيئاته في اختلاف أحواله"، ج1/ ص 161.

الجدول رقم (1)

المرأة	جميلةٌ	حُسَانَةٌ	غَانِيةٌ/ مِعْطَالٌ	وسِيمَةٌ	بَاهِرَةٌ
بها مسْحَة من الجمال	+	−	−	−	−
عمَّ الحُسْنُ كل جسَدها	+	+	−	−	−
اسْتَغْنَتْ بِجَمالِها عن الزِّينَة	+	+	+	−	−
وُسِم حُسْنها ثَابِتا	+	+	+	+	−
غَلَبت النِّساء بحُسنِها.	+	+	+	+	+

الجدول رقم (2).

نَظرَ	بعينين	بعين واحدة	مُواجهةً	مُجانَبةً	بِعجلةٍ	بِحدَّةٍ	بتَأَمُّل
رَمَقَ	+	+	−	+	−	−	+
لَحَظَ	+	−	+	−	+	−	−
لَمَحَ	+	+	−	−	+	−	−
حَدَجَ	+	+	−	−	+	+	−
حَدَّق	+	+	−	+	−	+	+

الجدول رقم (3)

مالٌ	موروثٌ	مُكتسَبٌ	ذهَبٌ	فضَّة	إبلٌ/ غنم	ضَيْعة
تِلادٌ	+	+	−	+	+	+
طارفٌ	+	−	+	+	+	+
صامتٌ	+	+	+	+	−	−
ناطقٌ	+	+	−	−	+	−
عقَار	+	+	−	−	−	+

نجد في الجداول: (1 و2 و3) وجود سِمة دلاليَّة مشتركة، حيث تميّزت بِسِمَةِ (+ امرأة) في الجدول (1)، وتميَّزت بسِمَةِ (+ نَظر) في الجدول رقم (2)، وتميَّزتْ بِسِمَةِ (+ مال) في الجدول (3)، ونلاحظ أن كلّ سمة تتقاسمها جميع الكلمات المنتمية إلى نفس الجدول، وكل لفظ تميز عن غيره بسمة واحدة على الأقل.

وانطلاقا من هذه الملحوظة، يمكن أن نستنتج أنَّ الاعتماد على نظريَّة التحليل الدَّلاليّ يَحلّ مشكل الصِّلات الْخَفيَّة بين الكلمات التي تَشْترك في كثير من السِّمات والخصائص الدلاليَّة.

وقد وجهت لنظرية السمات الدلاليَّة انتقادات عدَّة، أهمّها:

- مصاعب تعيين السمات، فهي بأعداد غير منتهية وليس متفق عليها علميا؛

- استحالة تطبيقها بشكل حرفي في مجال الصناعة القاموسيّة (التعريف القاموسي)؛

- عدم وجود جهاز لغوي ثابت ذي مفاهيم اصطلاحيَّة مُتّفق عليها؛

- عدم القدرة على التَّفريق بين المشترك اللفظي والمشترك الدَّلالي[24].

(24) الحبيب النَّصراوي، التعريف القاموسي بنيته الشكلية وعلاقته الدلالية، ص 46.

لكن مهما وجه لهذه النَّظريَّة من انتقادات، فإنَّ إسهامها النّظري والمنهجي يبقى مُهما في الصناعة القاموسيَّة، ويَحْتاجُ القَامُوسيُّ إلى الكثير من أُطْروحاتِها في تَحديد بعض المداخل الْمعجميَّة، خاصةً حين يَضَعُ الخطوط الفاصلة بين الوحدات التي لها روابط دلالَيّة مُشتركة مَتينة وخَفيَّة، كما هو واضح في الأمثلة الواردة في الجداول السابقة (1 و2 و3).

وقد أشارت آنَّى ورزبيكا (Anna Wierzbicka 1985) إلى ضرورة الاستفادة من أُطْروحات نظرية تحليل السمات في تحديد معاني بعض المداخل المعجمية، حيث تقول: "لا نعرف مُعجمًا في القديم ولا في الحديث، لأيِّ لُغة من لغات العالم قام على أساس من نظريَّة المكونات الدَّلاليَّة، لكن علماء الدَّلالة هم الذين ناقشوا هذه النَّظريَّة، ووضعوا أمام صانعي المعاجم نماذج تحليليَّة يَنبغي الاستفادة منها في صياغة تعاريفهم للوحدة المعجميَّة"[25].

إذن يمكن الاستفادة من نظرية تحليل السّمات في تعريف الكثير من المداخل المعجمية؛ لكن لا يمكن تطبيقها بشكل حرفي، فالقاموسيّ، في تحديد المعاني في القاموس، لا يمكنه تقديم جميع المميِّزات والسِّمات الدَّقيقة والخفيَّة، لكونه لا يُحدِّد المفردة دائمًا في شكلٍ مستقلٍ، فمثلًا إذا أردنا تَحليل سِمات "خمر" و"نبيذ" فإنَّهما سيكونان على النحو الآتي:

- ✓ خمر: شراب + عصير العنب + مسْكر + يُغطي العقل +، – معلب في قوارير...إلخ.
- ✓ نبيذ: شراب + عصير العنب + مسكر – يغطي العقل +، – معلَّب في قوارير...إلخ.

ولكن إذا رجعنا إلى القواميس، سنجد أنَّها تُثبتُ بعض السّمات، ويُهملون بعضها الآخر، فمن ذلك مثلًا، نجد "المعجم الوسيط" يعرف "الخمر" بأنَّه: "ما أسْكَر من عَصِير الْعنب وغيره، لأنَّها تُغطي العقل"[26]. ويعرِّف "النبيذ" بأنَّه:

(25) نقلا عن أحمد مختار عمر، المعجم والدلالة في شرح المعنى، ص 147.

(26) المعجم الوسيط، ص 255.

"شرابٌ مُسكرٌ يُتخذ من عصير العنب أو التمر ويُقال له خمرٌ ويُترك حتى يتخمر"[27].

ويُعرِّف المعجم العربي الأساسي "الخمر" بأنَّه: "ما أسكر من عصير العنب وغيره"[28]، ويعرِّف "النَّبيذ" بأنَّه: "شراب مُسكرٌ يُتَّخذ من عصير العنب أو التمر ويُقال له خَمْرٌ"[29].

ونُلاحظ أنَّ السمة المميِّزة بين "الخمر" و"النبيذ" في "المعجم الوسيط" هي سمة (+، – ذهاب العقل) في حين أغْفَلَ "المعجم العربي الأساسي" هذه السِّمة (ذهاب العقل) واعتبر أنَّ النَّبيذَ والخمر كلمتان مُترادفتان.

5. نظريّات مختلفة أقلّ تأْثِيرًا في التعريف القاموسي:

قبل الختام، نودُّ أن نُشير إلى نَظريَّات دلاليَّة أُخْرَى، كَالإشارِيّة والسُّلوكيّة والتصوُّريّة، ساهمتْ في التَّنظير المُعجمِي بشكلٍ عام؛ لكن يُعدُّ تأثيرها محدودًا في الجَانب التطبيقِيِّ (التعريف القاموسي) وذلك لِكوْن أُطْروحات هذه النَّظريات خرجتْ في مُجملها عن اللغة، حيث ذهبت النَّظريَّة الإشاريَّة إلى أنَّ الوصول إلى تَحديد معنى الكلمات، لا يُمكن بدون معْرفةٍ شاملةٍ بعالمِ المتكلِّم، أي: أنَّ تحديد المعنى مُرتبطٌ بما تُشير إليه إيحاءات المتكلمين. وابتعدت النَّظرية السلوكية عن اللغة من خلال اهْتمامها بِتحدِيدِ المُعْنَى بالاعتماد على سلوك المتكلمين[30]. وركَّزت النَّظريَّة التصوريَّة (العرفانيَّة) على التصورات الذهنيَّة، حيث لم يعد النِّظام اللُّغوي أُنموذجًا تَفْسيريًّا –كما كان سائدًا في النَّظريات الدلاليَّة السَّابقة التي ذكرنا آنفًا– فالأبنيَّةُ الذهنيَّةُ نفسُها التي تَحْكمُ الإدراك الْبَصرِي والسَّمْعِي، إلخ. هيَ ذاتُها التي تُؤسِّس للنِّظام اللُّغوي، كما عبَّر عن ذلك جاكندوف

(27) المرجع نفسه، ص 1168.

(28) المعجم العربي الأساسي، ص 423.

(29) المرجع نفسه، ص 1228.

(30) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 56– 64.

(Jackendoff) في قوله: "لا بُدَّ من مستويات من التمثيل الذَّهني تكون فيها المعلومة التي تؤدِّيها اللغة منسجمة والمعلومة الآتية من الأنظمة المحيطة مثل الرُّؤية والسَّماع غير اللغوي والشم والشّعور بالحركة، وهكذا إذَا لم تُوجد مثل هذه المستويات يكون من المستحيل استعمال اللغة في الإخبار عن المدخلات الْحسيَّة، ولا نستطيع الحديث عمَّا نرى ونسْمع... إلخ"[31].

وعليه أصبحت الدلالة التصورية، تركِّز على الأفكار والتصورات الموجودة في ذهن المتكلم والسَّامع قصد تحديد المعنى.

6. الخاتـمـة:

لم نطلع من خلال دراستنا المعجمية على وجود خلاف بين المعجميين في جعل وظيفة التعريف القاموسي، تتمثل في تَسْهيل التواصل الثقافي والفكري بين مستعملي اللغة، لكون القاموسي –هنا– يقوم بتفسير معاني الوحدات المعجمية التي يشتمل عليها قاموسه، ومن ثَمَّ تَعْترِضُه مشاكل جمَّة من أهمِّها، مشكل تشعب النظريات الدلالية واختلاف تصورات أصحابها لمفْهوم المعنى، كما تَعترضُه صعوبة الجمع بين التنظير والتطبيق.

وبالتالي حاولنا في هذا المقال تِبيان أهم الأسس النظرية التي يعتمدها القاموسيُّون في التحليل الدلالي، واستنتجنا أنَّهم يعتمدون على أربع نظريات أساسية، وهي: أولا نظريَّة الاحتواء التي رأينا أنَّها تُساهِمُ في تَحْليل المَعْنَى وتحديده انطلاقًا من ذِكْر الْجِنس الذي يَنتمِي إليه اللَّفظ مَتْبُوعًا بخصائِصه أو فَصْله. وثانيا نظريَّة الْحقول الدَّلاليَّة، حيث اسْتفادَ القاموسيُّون من أُطْروحاتِ وافْتراضاتِ هذه النَّظريَّة أسَاسًا في تحليل معاني الألفاظ التي تشترك في معنى عامّ يجمعها، فيستدعي هذا المعنى العام ذكر ما يشتمل عليه من معنى فرعي، كاللون، فإنَّه يستدعي ذكر الأحمر والأسود والأزرق...إلخ. ثالثا نظرية السّياق،

(31) جاكندوف، علم الدَّلالة والعرفانية، ترجمة عبد الرَّزاق بنور، ص 15.

حيث تُساهم هذه النظريَّة في تحليل معاني المشترك اللفظي. ومع ذلك فقدْ لاحظْنا أنَّ التَّجْربَةَ القاموسيَّة العربية راكمت أعمالًا كثيرة ومُتشعبةً بُغية حصر دلالات هذا النَّوْع من الألفاظ، غير أنّها فشلت في ذلك، إذ نجد أنّ القواميس الموجودة حاليًا لا تتضمّن دائمًا كلّ الاستعمالات الفعلية لها. رابعًا نظرية السَّمات الدَّلاليَّة، يرى أصحاب هذه النظريَّة أنَّ تحديد معنى لفظٍ ما يتَحددُ من خلال تعْدَاد السِّمات الذَّريَّة الدلاليَّة له، وقد وجدْنا صعوبة تطبيقها حَرفيًّا في الصناعة القاموسيَّة، لكنَّها استفادت من أطْروحاتها خاصةً في وضع الفروق الدقيقة بين الألفاظ التي يُتوَهَّم أنَّها مترادفات لفظية، وهي ليْستْ كذلك، مثل نظر ورمق ولمح ورأى، إلخ.

وكما أنَّ هناك نظريات أخرى دلالية اعتمد عليها القاموسيُّون في تحليل المعنى (التعريف القاموسي) لكنَّها كانت بشكل أقلَّ من نظيراتِها السابقة، وذلك لِكوْن أطْرُوحَات النَّظريات الأخيرة خرجت في مُجملها عن دراسةِ اللغة لأجْلهَا وَلذاتِها، ونقصد –هنا– الإشاريَّة والسلوكيَّة والتصوريَّة.

المصادر والمراجع

أ. المراجع العربية:

- أنيس، إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984.

- باديس، الهويمل، نظرية الحقول الدلالية بين التُّراث العربي والفكر اللِّساني المعاصر.

- بالمر، فرانك روبرت، علم الدلالة إطار جديد، ترجمة صبري السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.

- جاكندوف، راي، علم الدَّلالة والعرفانية، ترجمة عبد الرَّزاق بنور، المركز الوطني للترجمة بتونس، دار النشر سيناترا، ط1، 2010.

- عمَّار شلواي نظرية الحقول الدَّلالية.

- عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، بالقاهرة، ط5، 1998.

- عمر، أحمد مختار، بمساعدة فريق عمل معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.

- فندريس، جوزيف، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ص 231.

- الْكَراعين، أحمد نَعيم، علم الدلالة بين النَّظَر والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1993.

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، (2004).

- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، تأليف وإعداد جماعة من كبار اللغويين العرب، طبعة لاروس، ط1، 1989.

- النَّصراوي، الحبيب، التعريف القاموسيّ: بنيته الشكلية وعلاقته الدَّلالية مركز النشر الجامعي، منوبة، تونس، ط1، 2009.

- هادي، نهر، علم الدَّلالة التطبيقي في التراث العربي، تقديم عبد العلي حميد، مطبعة دار الأمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008.

- ولد أخيارهم، عبد الرحمن، إشكالات المعجم العربي المعاصر (أطروحة دكتوراه)، إشراف عبد العزيز المطاد، جامعة ابن طفيل القنيطرة، المملكة المغربية، السنة الجامعية (2016–2017).

ب. المراجع الأجنبية:

- Lehmann (A) et (F) (1998) Martin- Berthet, Introduction à la lexicologie sémantique.

- Lehrer (A) (1974) Semantic Fields and Lexical Structure, Amsterdam, London.

- Nida Eugene (A) (1975) Componential analysis of maiming, Paris Mouton.

- Rey Debove (J) (1971) Etude Linguistique et sémiotique des dictionnaires français contemporains Ed, mouton the hogue, paris.